ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

تاريخ نشأة المدارس التعليمية في الغرب الإسلامي
من خلال الروايات التاريخية المختلفة

د. بشير مبارك
أستاذ التاريخ الوسيط
المركز الجامعي عبد الله مرسلي
تيبازة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

عرف المغرب الإسلامي مؤسسات تعليمية عديدة، والتي تمثلت عمومًا في الكتاتيب والمساجد، ودور العلم، قبل أن تعرف المدارس التعليمية، وفقدت أهميتها بعد أن عرف العالم الإسلامي مؤسسات تعليمية بديلة (المدارس) خلال القرن الخامس الهجري. إن الباحث يحتار وهو يحاول وضع تاريخًا محددًا لانفصال الدراسة عن المسجد، فالرأي الأول يذهب إلى أن المدارس ظهرت مع نهاية القرن الثامن الهجري في خراسان، والثاني يرى أن أهل نيسابور هم أول مَنْ أقام المدارس، أما الرأي الثالث فيرى أن أول مَنْ أقامها نظام الملك الطوسي. واستمر هذا التضارب حول زمن ظهورها في الغرب الإسلامي فهناك مَنْ يجعل مهدها في الأندلس، وهناك مَنْ يجعله بطرابلس والبعض الآخر يجعلها بفاس، وهذه الدراسة محاولة للتوضيح.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٣٠ نوفمبر ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٠٤ مارس ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
المؤسسات التعليمية، الكتاتيب، دور العلم، دار الحكمة، تاريخ الظهور

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0041877

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
بشير مبارك. "تاريخ نشأة المدارس التعليمية في الغرب الإسلامي من خلال الروايات التاريخية المختلفة".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السادس والثلاثون؛ يونيو ٢٠١٧. ص٧٨ – ٨٩

مُقَدِّمَةٌ

لقد عرف المغرب الإسلامي مؤسسات تعليمية عديدة، أين كانت تلقن مختلف فنون العلم، والتي تمثلت عموما في الكتاتيب[1] والمساجد، ودور العلم، قبل أن تعرف المدارس التعليمية، حيث مثّلت المؤسسات التعليمية الأولى عند العرب على عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده والفترة الموالية لخلافتهم (الفترة الأموية ثم العباسية) وما تلاها من عصور.

وكانت المؤسسات التعليمية من العوامل الهامة التي أثّرت في الحياة العلمية بالغرب الإسلامي، والشيء الملاحظ على الدراسات المتخصصة أنّها لم توليها اهتمامًا كبيرًا بالمنطقة، وإن وجدت فهي قليلة، وهذا ربما راجع لصعوبة الكتابة في مثل هذه المواضيع، إضافة إلى نقص المادة العلمية، لذا نجد أن أغلب الكتابات قد وجّهت اهتماماتها نحو الكتابة عن الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والإدارية ولم تهتم كثيرًا بالناحية الفكرية والثقافية والعلمية، ومن بين الدراسات القليلة التي اهتمت بالحياة الثقافية نذكر دراسة رفيق خليقي "البيوتات العلمية الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن الثالث الهجري إلى نهاية القرن التاسع الهجري"، ودراسة فاطمة مطهري" تاهرت الرستمية دراسة حضارية"، ودراسة بكير إبراهيم بحاز حول الحياة الفكرية والاقتصادية للدولة الرستمية (١٦٠-٢٩٦هـ/٧٩٩-٩٠٩م).

إنّ ما يلاحظ على الدراسات السالفة الذكر أنّها لم تفرد لموضوع "المدارس التعليمية" دراسة خاصة مستقلة، وإنما جاء الموضوع ضمن دراسات عامة. اعتبارًا لذلك كان موضوع ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي هو محور بحثنا هذا الموسوم بـ: "تاريخ نشأة المدارس التعليمية بالغرب الإسلامي من خلال الروايات التاريخية المختلفة" والتي أسعى من خلالها محاولة رسم لوحة عن مكان وتاريخ ظهور المدارس التعليمية بالمنطقة.

تتمحور الإشكالية التي يطرحها البحث ونحاول الإجابة عليها في: المدارس التعليمية بالغرب الإسلامي للبحث في: الإطار الزماني والمكاني لظهور المدارس بالمنطقة؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية يترتب علينا الإجابة عن تساؤلات فرعية من أهمها:- ما مفهوم المدرسة؟ متى عرف العالم الإسلامي نظام المدارس مشرقًا ومغربًا؟ وأي منطقة كانت سباقة لظهورها؟ أسئلة تطرح نفسها بإلحاح في هذه الدراسة المتواضعة حول المنشآت التعليمية بعالمنا الإسلامي.

وللإجابة عن إشكالات البحث وتساؤلاته كان لا بد من اعتماد واستخدام منهج تاريخي معين بالرجوع إلى المادة العلمية المبثوثة في مختلف أنواع المصادر التاريخية التي تناولت الموضوع أو طرقته في إحدى جوانبه، وحينما يتعذر علينا الحصول على المادة التاريخية نميل إلى استقراء مختلف الأفكار واستنتاج بعض الحقائق وذلك بمقارنة النصوص التاريخية مع بعضها البعض

نشأة المدارس التعليمية في الغرب الإسلامي

لقد كانت المساجد من بين أهم المؤسسات التعليمية التي كان يتلقى فيها المسلمون تعليمهم، فاعتبرت أول معاهد التعليم في الإسلام، تلقى فيها المسلمون أصول الدين ومبادئ الإسلام،[٢] فاعتبر المسجد من أكبر معاهد الدراسة آنذاك، فلم تكن المساجد مخصصة للعبادة فقط، بل كانت تؤدي أعمالا مختلفة، فكانت مكانا للعبادة في المقام الأول، تقام فيها الصلوات وتخطب فيها الخطب، ومحكمة للتقاضي، وفيها يبايع الخلفاء، وفيها يبنون سياساتهم، وفيها يدعى القوم للجهاد، وتوزع الغنائم، هذا بالإضافة إلى دورها التعليمي، فعقدت فيها حلقات الدراسة والتدريس، مثلما كان عليه الحال بمسجد عمر بن العاص[٣] بمصر[٤]، ومسجد الكوفة ، والحرم المكي والمدني وغيرها من المساجد التي قامت مقام المدارس والجامعات في ذلك العصر،[٥] فكانت من بين الأماكن التي ارتادها طلبة العلم ورواد المعرفة قبل إنشاء المدارس في الإسلام،[٦]

أما الكتاتيب فكان الصبيان يرتادونها في بداية مرحلة تعليمهم وعرفت أيضا باسم مجالس الأدب أو الحوانيت،[٧] ويتضح من خلال كتب النوازل الفقهية أن هذه المرحلة تبدأ عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره[٨] كان لها دور هام وأساسي في عملية التعليم، لذا اعتبرت بمثابة المؤسسة التعليمية الأولى عند المسلمين حضرت الصبية لمرحلة التعليم بالمسجد[٩]. إضافة إلى دور العلم التي عرفت بدور الحكمة، أشهرها دار الحكمة في بغداد[١٠] ودار العلم بالموصل ودار العلم بالقاهرة،[١١] كانت هذه الدور مراكز للنشاط العلمي والثقافي. لقد أدّت المساجد والكتاتيب ودور العلم دورها التعليمي، لكن بدأ هذا الدور يزول تدريجيا، وفقدت أهميتها كمراكز تلقن فيها العلوم، بعد أن عرف العالم الإسلامي مؤسسات تعليمية بديلة تمثلت في "المدارس" مع بداية القرن الخامس الهجري (١١م). إنّ المدرسة من بين أهم المؤسسات التعليمية التي عرفها العالم الإسلامي، وهي مما حدث في الإسلام، لم تكن معروفة زمن الصحابة ولا التابعين كما وضحت لنا ذلك بعض النصوص التاريخية "المدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن معروفة زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة..."[١٢].

لقد أوردت لنا بعض الدراسات الحديثة والمعاصرة أقدم النصوص الأدبية والتاريخية التي ذكر فيها مصطلح "درس أو مدرسة"، فمن النصوص الأدبية نذكر على سبيل المثال ما أورده سعد أطلس فيقول: إن أقدم النصوص الأدبية التي نجد فيها ذكر المدرسة وبمفهومها الاصطلاحي قول: دعبل الخزاعي (٢٤٦هـ/٨٦٠م) في قصيدة يرثي فيها آل البيت وما لقوه من تعذيب وما لحق معاهد العلم والدين جراء قتلهم:

مَدَارِسُ آيَاتٌ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ *** وَمَهْبَطِ وَحْيٍ مَقْفَرَ اَلْعُرْصَاتِ[١٣]

ومن دون شك أنه يقصد بلفظة "مدارس" تلك البنايات التي كانت تشاد وتقام لإقراء وتلاوة القرآن الكريم وليس تلك التي نحن بصدد الحديث عنها، لأنها ستظهر بما يقارب القرنين من زمن دعبل الخزاعي، ويذكر لنا كذلك أقدم نص تاريخي ذكر فيه مصطلح - مدرسة- وذلك باعتماده على ما أحصاه المستشرق البروفيسور وستنفلد (wustenfeld) في أحد كتبه التي ألّفها حول الإمام الشافعي، عند قوله:"...شيّد الإمام أبو حاتم البستي الأديب المحدث المشهور مدرسة دارًا في بست[١٤]، وجعل فيها خزانة كتب، وغرفة للطلاب، وخصص مبالغ مالية وأرزاق للغرباء من طلاب العلم فيها..." ،[١٥] وأورد لنا أحمد فكري نصًا يعتبر من أقدم النصوص التي ذكر فيها مصطلح "مدرسة"، فيشير إلى أول إشارة لمصطلح مدارس في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، وذلك في المقدمة حين وصف المؤلف فيها العناء الشديد الذي كان يلاقيه في جمع مادة كتابه حيث قال: " إنه تفقّه وتأدّب وتزهّد وتعبّد وإنه فقّه وأدّب وخطب على المنابر... وذكر في الجوامع واختلف إلى المدارس" [١٦]، فما مفهوم المدرسة ؟

إذا ما أردنا تحديد مفهوم "مدرسة" مفهومًا صحيحًا وواضحًا، يجب أن لا نكتفي بضبط المعنى لغويًا فقط، لأنه غير كاف لفهمه بشكل صحيح ودقيق، لذلك ارتأينا أن نتطرق إلى كل المعاني وفي مقدمتها المعنى اللّغوي، ثم المعنى الاصطلاحي، فالمعنى المعماري ثم الفكري، حتى نكون في الأخير قد وفقنا في تحديده ولو نسبيًا.

أما المدلول اللّغوي، فقد زودتنا بعض معاجم اللّغة التي اعتمدنا عليها، المتمثلة في لسان العرب لابن منظور، ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، وكتاب جمهرة اللّغة للأزدي (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) بمعلومات للوصول إلى اشتقاقه ومعانيه، فذكرت أن الكلمة مشتقة من الفعل "دَرَسَ" وأصله أرامي بمعنى قرأ،[١٧] يختلف فحواه حسب توظيفه في الجمل منها "دَرَسَ الشيء، والرسم يَدْرُسُ دُرُوْسًا وَاَلْدَرْسُ أثر اَلْدَأرِسِ"، قال ابن الهيثم "دَرَسَ اَلْأَثَرُ يَدْرُسُهُ دَرْسًا" وَ"دَرَسَتْهُ اَلْرِّيْحُ تَدْرُسُهُ دَرْسًا" أي محته، ويقال كذلك: "دَرَسْتُ اَلْثَّوْبَ أَدْرُسُهُ دَرْسًا فهو

مَدْرُوْس وَدَرِيْس "أي أَخْلَقْتُهُ، ومنه قيل للثوب اَلْخَلْقْ، ويقال: "دَرَسَ اَلْطَعَامَ يَدْرُسُهُ" إذا دِيْسَ،[١٨] ويقال: "دَرَسْتُ القرآن وما أشبه" أي أَدْرُسُهُ دَرْسًا، و "دَرَسَ البعير يَدْرُسْ" إذا ابتدأ فيه الجرب وَ"دَرَسَتْ الجارية إذا حاضت" و"اَلْدَرِيْسُ" الثوب الخلق،[١٩] ومنه "دَرَسَ القمح" أي داسه بالنورج[٢٠]، وفي اشتقاق آخر يخص الكتابة والقراءة فيقال: "دَرَسَ الكتاب يَدْرُسُهُ دَرْسًا وَدِرَاْسَةً وَدَاْرَسَهُ" أي حتى انقاد لحفظه، وقيل: "درست" قرأت كتب أهل الكتاب ودارست ذاكرتهم،[٢١] و"درسه الكتاب" أي جعله "يَدْرُسُهُ" وَ "دِرَاْسَةُ الكتاب مُدَاْرَسَةٌ" أي قرآه مشتركين،[٢٢] وقيل أن إدريس عليه السلام سمي بذلك – إدريس – لكثرة دراسته كتاب الله تعالى[٢٣]، ويقال: "دَرَسْتُ الكتاب أَدْرُسُهُ دَرْسًا" أي ذللته بكثرة القراءة حتى خفَ حفظه علي[٢٤] و"اَلْمِدْرَاْسُ" بكسر الميم ودال ساكنة و"اَلْمِدْرَسُ" بكسر الميم ودال ساكنة وضم السين، أي الموضع الذي يدرس فيه أو البيت الذي يدرس فيه القرآن الكريم ، والمدرس الكتاب، و"اَلْمُدَاْرِس" بضم الميم الذي قرأ الكتب ودرسها، ويقال: "مُدَاْرِسُ اليهود" و "اَلْمُدَاْرِسُ" صاحب دراسة كتبهم، "واَلْمَدَاْرِس" هو البيت الذي يدرسون فيه، ويقال: دَاْرَسْتُ الكتب وتَدَاْرَسْتُهَاْ وادَّرَسْتُهَاْ أي دَرَسْتُهَاْ[٢٥].

وورد المصطلح في القرآن الكريم دالاً على القراءة في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ اَلْآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ"،[٢٦] وقوله تعالى أيضًا: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ اَلْكِتَاْبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَاْ اَلْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثَاْقُ اَلْكِتَاْبِ أَنْ لَاْ يَقُولُواْ عَلَى اَللهِ إِلَّا اَلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَاَلْدَّاْرُ اَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ".[٢٧] وسمي الدرس حلقة وذلك أن الطلاب كانوا يتحلقون على شكل حلقة، أي أنّهم كانوا ينتظمون على شكل عقد أو حلق حول شيخهم، وكانت الحلقة تضيق أو تتسع أو تتضاعف تبعا لعدد الطلاب[٢٨]. إذن مصطلح مدرسة له اشتقاقات لغوية عديدة يختلف معناها حسب توظيفها، مشتق من الفعل درس، هذا عن المدلول اللّغوي، فماذا عن المدلول الاصطلاحي؟

أما عن مدلولها الاصطلاحي، فهي ذلك الموضع الذي يدرس فيه القرآن الكريم وغيره، عرفها أبو رأس الناصري (١١٦٥/١٢٣٧هـ-١٧٥١/١٨٢١م) في كتابه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار: "المدرسة المتعارفة عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه..."[٢٩] ويذكر منها مدرسة ولدي الإمام في تلمسان[٣٠] ومدرسة القشاشين بالجزائر- جزائر بني مزغنة-[٣١] ومدرسة المحمدية بأم العسكر[٣٢]، والمدرسة هي البيت الذي يعلم فيها المدرس المقرئ[٣٣] فهي مكان إقامة الدرس، أو مكان الدرس والتعليم، وبالتالي فهي تلك الدور والمباني المشادة التي يقصدها طلاب العلم للتعلم والدراسة، يتولى التدريس فيها معلمون وأساتذة لقاء مرتبات تدر عليهم من الدولة.[٣٤]

أما من الناحية المعمارية، فهي مؤسسة أقيمت كموضع لتلقين العلوم، تضم بيتًا للصلاة، وسكنى للطلبة، "تتألف في الغالب من طابقين، بها غرف أو حجرات صغيرة، لها مرافق ضرورية تابعة لها، كخزانة الكتب أو المكتبة"[٣٥] "وعدد غرفها تتفاوت من مدرسة لأخرى، أقيمت بها قاعات فسيحة تتناسب مساحاتها مع الغرض الذي أعدت لأجله مثل خزانات الكتب، وقاعات التذكير والدروس، وقاعات تناول الطعام، وجلوس المدرسين والنظار والمشرفين والكتبة، وتضم كذلك مباني أخرى كالمطبخ والحمام والمخبز، والشيء الملاحظ أيضًا أنها كانت تضم ضريحًا أو أكثر، وقد عمّمت هذه الظاهرة على جميع مدارس العالم الإسلامي"،[٣٦] كما سنرى ذلك خلال تطرقنا لمدارس المغرب الأوسط، والمدرسة معماريًا هي بناية تشبه المسجد الجامع والدور مخصصة للدراسة تتاح فيها الفرص للطلبة من أجل التخصص في علم من العلوم أو فن من الفنون.

ويرى البعض في تحديد المصطلح مفهومًا مغايرًا لما تطرقنا له سابقًا، حيث يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن المدرسة أولاً تعني تلك المؤسسات العلمية والأمكنة التي يتلقى فيها الطالب علومًا مختلفة، وفي المقام الثاني تعني عند هؤلاء "المذهب الفكري"، فقد يكون لشخص ما مدرسة إذا ما نحا منحى خاصًا به في بحوثه أو في كتاباته فنسمع بالمدرسة الأفلاطونية، التي يقصد بها تلك الطريقة التي أثبتها أفلاطون في فلسفته أو على من سار على فكره واتبع طريقه، وكذلك مدرسة أبي حنيفة في القياس،[٣٧] فمَنْ سار على طريقه في استنباط الأحكام معتمدًا على القياس نسب إلى مدرسته، ونسمع كذلك عن المدرسة الفيثاغورثية حيث جرت العادة عند الفيثاغورثيين انساب الإنتاج إلى مؤسس المدرسة،[٣٨] كما قد يكون لمجموعة من الناس مدرسة خاصة - مذهب فكري خاص- وقد يكون لمدينة ما مدرسة تعرف بها فيقال: مدرسة الكوفة، ومدرسة البصرة في النحو مثلاً، كما نسمع عن المدرسة الأيونية نسبة إلى منطقة يونيا على السواحل الغربية لتركيا الحالية والمطلة على بحر إيجة حيث استوطنها مؤسسي هذه المدرسة منهم طاليس (٧٥٢/ ٦٩٧ قبل الميلاد) الذي اشتهر بالهندسة خصوصا،[٣٩] كما قد يكون لقطر ما من الأقطار مدرسة، فيقال مدرسة الحجاز[٤٠] للفتوى، ومدرسة الشام[٤١] في أنظمة الحكم والمذاهب السياسية، كما قد يكون لأمة ما مدرسة فيقال: المدرسة اليونانية في التفكير الفلسفي، والمدرسة الرومانية في التشريع،[٤٢] هذا النوع من المدارس - مدارس المذاهب الفكرية- ظهرت في أقطار الدولة العربية الإسلامية، وبالخصوص في الحجاز ومكة المكرمة ، حيث عاش الرسول (صلى الله عليه وسلم) معظم حياته وبها نزل الوحي، ومن أشهر أصحاب هذه المدارس مدرسة معاذ بن جبل[٤٣] الذي خلّفه الرسول(ﷺ) بها ليفقه الناس في دينهم ، ومن أتباعها الإمام الشافعي.[٤٤]

إذن للمدرسة مفاهيم مختلفة منها المفهوم اللّغوي، والمفهوم الاصطلاحي، والمفهوم المعماري، والمفهوم الفكري، والسؤال المطروح هو: هل اتفقت الروايات التاريخية أم تضاربت حول

مكان وتاريخ ظهور المدارس التعليمية بالعالم الإسلامي مشرقًا ومغربًا؟

نظرًا لما حظي به التعليم من رعاية وتشجيع من قبل الرسول(ﷺ)، وازدياد إقبال الناس على طلب العلم، كان من الطبيعي أن تكون أماكن مخصصة لذلك، ومادام موضوعنا يتعلق بالمدارس التعليمية فلا بأس أن نتطرق للأماكن التي خصصت للتعليم قبل ظهور المدارس، فكانت البداية كما ذكرت لنا بعض النصوص، بدار الأرقم بن عبد مناف[٤٥] التي اعتبرت كأول موضع خصّص لقراءة القرآن وتدارسه، حيث اجتمع فيها الرسول(ﷺ) مع أصحابه حتى عرفت – الدار- " بدار الإسلام الأولى"، ثم انتقل التعليم إلى المساجد بتوجيه من الرسول الكريم، فعلم الصحابة بمسجد قباء، ثم جلس الكثيرون للتعليم بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة.[٤٦]

من دون أن ننسى دور الكتاتيب في تعليم الصبية وتحضيرهم للتعلم في المسجد، وكذلك دور العلم التي أنشأها الخلفاء . مع مرور الوقت بدأت الدراسة تنفصل عن المسجد ليصبح لها وضعا مستقلا، وهنا نقف أمام إشكاليتين، الإشكال الأول ما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الانفصال؟ وما هو تاريخ انفصال الدراسة عن المسجد؟

فأما الأسباب التي أدت إلى انفصال الدراسة عن المسجد، فربما تغيير أساليب التدريس وكثرة الحلقات التي صاحبها الكثير من التشويش على المصلين في مكان يفترض منه أن يكون مهيأ للعبادة، فكان لا بد أن يخصص مكان معين للتدريس، وكذلك تطور العلوم بإدخال مواد دراسية أخرى أضيفت إلى القرآن الكريم خصوصا موضوعات علم الكلام المقترنة بالنقاش الحاد والجدل الطويل الذي قد يخرج أصحابه أحيانا عن الأدب الذي يجب مراعاته في المسجد، فكان من أكبر الأسباب التي دعت إلى انفصال الدراسة عن المسجد، إضافة إلى عبث الصبيان الصغار الذين لا يتحفظون من النجاسة مما جعل الفقهاء يمنعون تعليم الصبيان في المسجد، وحتى لا يتم إهمالهم كان لا بد من التفكير في إيجاد بديل كأماكن للتدريس منفصلة عن المسجد، ولكن ما يهمنا هو تراجع دور المسجد في التعليم وانفصال الدراسة عنه، فمتى كانت بداية هذا الانفصال؟

كانت بداية الانفصال مع ظهور مؤسسات تعليمية جديدة تمثلت في "المدارس التعليمية"، لكن الباحث أو المؤرخ يحتار وهو يحاول أن يضع تاريخًا محددًا لانفصال الدراسة عن المسجد بعد ظهور هذا النوع من المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، فيجد صعوبة في وضع تاريخ محدد لظهورها، كما يجد نفسه تائها وضائعا بين مجموعة أراء يحاول كل صاحب رأي دعم رأيه وموقفه ودحض الآراء والمواقف الأخرى، وأمام هذه الضبابية يضطر الباحث لعرض كافة ما اطّلع عليه من أراء حول تحديد أول تاريخ لنشأة المدارس التعليمية في العالم الإسلامي، ومن ثَمَّ يعمل على مقارنتها بهدف اختيار الرأي الأقرب إلى الصواب الذي يسنده الدليل وتدعمه الحجة بنصوص التاريخ.

فالرأي الأول يذهب أصحابه إلى أن المدارس ظهرت مع نهاية القرن الثاني هجري (٨٠٨م) في خراسان[٤٧] "فأول مدرسة أسّست في خراسان أسسها المأمون العباسي في نهاية القرن الثاني الهجري أيام ولايته"،[٤٨] لكن ربما هذه المؤسسة التعليمية لم ترق إلى المدرسة بالمفهوم السالف الذكر.

والرأي الثاني يرى أصحابه أن أهل نيسابور هم من كان لهم السبق في إقامة المدارس التعليمية بالعالم الإسلامي أواخر القرن الثالث الهجري (٩م) وبداية القرن الرابع الهجري (١٠م)، واعتمدوا في ذلك على مجموعة من النصوص التاريخية التي تشير إلى إنشاء المدارس في النصف الأول من القرن الرابع هجري (١٠م) في نيسابور، لكن أصحاب هذا الرأي يتفقون على أن نيسابور هي المهد الأول للمدارس ويختلفون حول أول مدرسة بها، فتباينت الآراء بين مدرسة ابن فورك، والمدرسة البهيقية[٤٩]، والنصوص التي سنذكرها تبين هذا الاختلاف، فمثلا تورد لنا بعض الدراسات الحديثة أن مدرسة أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك هي الأقدم في نيسابور، حين تذكر قول الصفدي "بنيت في نيسابور مدرسة لأبي بكر محمد بن الحسن بن فور(ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م)"[٥٠] فأقدم مدرسة بنيسابور هي مدرسة ابن فورك حسب هذا الرأي والتي يرجع تاريخها إلى ما قبل سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م) وترى النصوص الأخرى أن المدرسة البهيقية المنسوبة إلى أبي بكر البهيقي المتوفي سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)[٥١] هي الأقدم "وأول مدرسة بنيت على هذا الشكل كانت في نيسابور وهي المدرسة البهيقية "[٥٢] وتؤكد بعض الدراسات الحديثة هذا القول "ولم تنشأ المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، العاشر ميلادي، وكانت المدرسة الأولى بهذا العهد المدرسة البهيقية بنيسابور..."،[٥٣] وحسب هذا الرأي فإن المدرسة البهيقية هي الأقدم في نيسابور، كما تورد لنا بعض النصوص المدرسة التي بنيت للإسفرايني[٥٤] "... بنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور..."،[٥٥] وإن صحّ قول أحمد فكري الذي نقل النص عن الصفدي تكون مدرسة ابن فورك هي الأقدم عهدا من المدرسة البهيقية.

أما الرأي الثالث الذي اتّفق عليه أكثر المؤرخين كابن خلكان أو حتى أصحاب الدراسات الحديثة، فيذهب أصحابه إلى أن أول من بنا المدارس في الإسلام هو نظام الملك الطوسي[٥٦] وزير الملك شاه السلجوقي في أواسط القرن الخامس الهجري (١١م) بمدينة بغداد عندما أنشأ المدارس التي حملت اسمه – المدارس النظامية – "...وهو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبعة وخمسين وأربع مائة وفي سنة تسعة وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى، فلم يحضر فذكر الدرس أبو نصر بن الصباغ صاحب الشامل عشرين يوما ثم جلس الشيخ أبوا إسحاق بعد ذلك..."[٥٧]. إن صاحب هذا النص يجزم بأن نظام الملك

الذي استوزره السلاجقة من سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) إلى سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) هو أول من أنشأ المدارس، فبنى مدرسة ببغداد، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو[٥٨] حتى قيل "له في كل مدينة بالعراق وخرسان مدرسة "[٥٩] والنظامية كانت أشهرها على الإطلاق حيث رفعت من شأن صاحبها وأذاعت صيته، شرع في بنائها سنة (٤٥٧ هـ/١٠٦٣م) وفرغ منها سنة (٤٥٩ هـ/ ١٠٦٦م).[٦٠]

من خلال النصين اللّذين أوردناهما سابقًا لابن خلكان والمقريزي، يظهر لنا التضارب في الآراء حول أول من أنشأ المدارس في الإسلام، حيث نجد أن ابن خلكان يجزم بأن نظام الملك هو أول من أسس المدارس في العالم الإسلامي، وفي المقابل يقرر المقريزي بأن أهل نيسابور هم أول من أنشئوا المدارس ويعترف في نفس الوقت أن المدرسة النظامية كانت ذات أهمية عن باقي المدارس، وسارت أغلب الدراسات الحديثة على نفس النهج في تضارب الآراء، وأغلبها تذهب إلى أن نظام الملك هو أول من أنشأ المدارس، ولهذا يجد الباحث صعوبة في وضع تاريخ ومكان محددين لظهور أول مدرسة إسلامية.

لكن رغم هذا يمكننا الركون إلى تأييد الرأي القائل: أنّ أولى المدارس في العالم الإسلامي ظهرت بنيسابور، وخاصة إذا سلمنا بما أورده صاحب كتاب الخطط حيث يقول: "وأوّل من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البهيقية ..."،[٦١] والنص الأخير يسقط ويدحض توجه أصحاب الرأي القائل بأن نظام الملك هو أول من أسس المدارس في الإسلام، وأن المدرسة النظامية هي أول مدرسة بالعالم الإسلامي، خاصة إذا علمنا أن نظام الملك استوزر للسلاجقة سنة (٤٥٦هـ/١٠٦٣م)وسنة بناء مدرسة ابن فورك بنيسابور يعود إلى ما قبل سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، وخلال هذه الفترة لم يكن نظام الملك قد خرج للحياة، إضافة إلى تاريخ وزارته لدى السلاجقة المتأخرة جدا عن تاريخ بناء مدرسة ابن فورك، وبالتالي لا يمكننا الركون إلى هذا الادعاء والتسليم به، لأمر واحد هو وجود نصوص تاريخية تدحض وتنفي هذا الادعاء، رغم أن لأصحاب هذا القول- بأن نظام الملك هو أول من أسس المدارس في الإسلام - له ما يبرره، فالمدرسة النظامية كانت ذا أهمية عن باقي المدارس السالفة الذكر بنيسابور وغيرها.

أما زمنيًا، فالمدرسة في الإسلام لم تعرف قبل القرن الرابع الهجري[٦٢] بعد ذلك اقتدى المسلمون بأهل نيسابور ونظام الملك في تأسيس المدارس وعملوا على تعميمها، حيث أسست المدارس في كل أنحاء العالم الإسلامي (العراق، خراسان، شبه الجزيرة العربية، الشام، الأندلس، وباقي المدن الإسلامية)، وانتقلت حركة بناء المدارس إلى مصر بعد قرن من زمن ظهورها بنيسابور في العصر الأيوبي، حيث قام صلاح الدين الأيوبي بتأسيس العديد من المدارس، وأقدم المدارس هناك حسب ما ذكرت لنا النصوص المدرسة الناصرية[٦٣] ثم تليها المدرسة القمحية[٦٤]، "وأول مدرسة أحدثت بالديار المصرية المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضًا".[٦٥]

ومما تقدم يمكن أن نوجز القول بأن المدرسة في العالم الإسلامي نشأت مع بداية القرن الخامس الهجري (١١م)، في نيسابور ثم خراسان، فبغداد، فالشام ثم باقي أقطار الدولة الإسلامية بما فيها المغرب الإسلامي الذي وصلته المدارس في فترة متأخرة نسبيًا عن المشرق الإسلامي. هذا عن ظهور المدارس بالمشرق الإسلامي، فمتى ظهرت بالغرب الإسلامي؟ وهل اتفقت الروايات حول تاريخ ومكان محددين لظهورها في المنطقة؟

إن ظهور المدارس بالغرب الإسلامي كان من بين حسنات ما نقله الرحالة المغاربة الذين جابوا بلاد المشرق وترددوا على معاهده العلمية، وأصحاب الرحلات من المغاربة يعدون بالعشرات وما تركوه لنا من أثر تقاييدهم وكتاباتهم في السفر يتفاوت قيمة وأهمية، ومن دون شك أن فريضة الحج في الإسلام كانت من أعظم بواعث سفر المغاربة إلى الحجاز، وكان بعضهم بعد أداء الفريضة يقصد الكثير من المدن الكبرى بالمشرق كدمشق وبغداد، فيقومون بتدوين مشاهداتهم، حيث وصفوا تجوالهم في هذه الأقطار بذكر البلاد وما احتوت عليه من معالم، وذكر المعاهد الجليلة والمنشآت البارزة، وقد سار على هذا الطريق الكثير من الرحالة المغاربة الذين أعجبوا بالمنشآت المعمارية المشادة هناك، منها المدارس التعليمية وبالخصوص المدارس النظامية، ومن هؤلاء نذكر ابن جبير الذي زار أشهر الحواضر العباسية فذكر مدارسها والأوقاف التي حبست عليها، ويذكر مدارس مكة المكرمة قائلاً؟ "وبهذه البلدة نحو عشرين مدرسة"[٦٦] وفي موضع آخر يصف لنا أحسن مدارس المشرق الإسلامي "ومن أحسن مدارس الدنيا مدرسة نور الدين، رحمه الله وهي قصر من القصور الأنيقة ... فكل من يبصره يجدد الدعاء لنور الدين".[٦٧]

يعتبر موضوع ظهور المدارس بالغرب الإسلامي من أهم المواضيع التي أثارت جدلاً بين المؤرخين في العصور الوسطى، واستمر هذا الجدل بين الباحثين وأصحاب الدراسات الحديثة، وعلى وجه الخصوص حول تحديد التاريخ الذي عرفت فيه المنطقة المدارس التعليمية، وسنحاول تتبع النصوص التاريخية التي تناولت الموضوع بكل حيثياته، حتى نتمكن من معرفة تاريخ انتقال المدارس التعليمية من المشرق الإسلامي إلى الغرب الإسلامي بتحديد زمان ومكان ظهورها.

إنّ هذا الجدل الحاصل حول تاريخ ظهورها، ربما كان نتيجة لتباين واختلاف الروايات في المصادر التي طرقت الموضوع، ومن هؤلاء السلاوي في كتابه" الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى"، وابن أبي زرع الفاسي في "الأنيس المطرب بروض القرطاس" وابن مرزوق التلمساني في "المسند الصحيح". فالإشارات الواردة عند السلاوي تفيد بأن المدرسة المغربية عرفت خلال العصر المرابطي، كمدرسة الصابرين التي شيّدها يوسف بن تاشفين[٦٨] ومدرسة الوجاج بن زلو اللّمطي[٦٩] ببلاد السوس

الأقصى،[٧٠] لكن هذه الأخيرة ربما كانت كرباط وليست مدرسة، ويذهب صاحب الأنيس المطرب إلى أن الخليفة الموحدي يعقوب المنصور[٧١] هو أول من أنشأ المدارس، فيذكر أنه بنا المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والأندلس والمغرب "حصّن البلاد وضبط الثغور، وبنا المساجد والمدارس في إفريقية والمغرب والأندلس"،[٧٢] أما صاحب "المسند الصحيح" فيخالف تماما ما ذكره صاحبي الروايتين السابقتين– السلاوي وابن أبي زرع- حيث نجده يقرر بأن المغرب لم يعرف المدارس إلا على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني الذي بنا مدرسة الحلفائيين بفاس " قد قدمنا أن إنشاء المدارس كان غير معروف في المغرب حتى أنشأ مولانا المجاهد الملك العابد مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس وبعدوة القرويين منها..."،[٧٣] وبذلك يكون ابن مرزوق قد أكد بأن المغرب الإسلامي عرف المدارس التعليمية خلال العهد المريني ونفى نفيا قاطعا وجودها قبل هذا العهد.

وفي المقابل هناك أراء نقيضة لكل الروايات السابقة حيث تشير بعض الدراسات أن المدرسة المغربية تأسست لأول بسبتة، حيث تذكر أنها ظهرت بها سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م).[٧٤]

أما الأندلس،[٧٥] فكانت تخلوا من المدارس حسب بعض النصوص، وخصوصًا خلال الفترة المتقدمة عن ظهورها بالعدوة المغربية "ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد"،[٧٦] وبالتالي فإن الأندلس قد عرفت المدارس في فترة متأخرة عن الحفصيين والمرينيين، ويذكر البعض أن أول المدارس أسست بغرناطة[٧٧]سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)[٧٨] ومن دون شك أن إقامة المدارس عرف انتعاشا كبيرا بعد هذا التاريخ، حيث شيدت بها مدارس عديدة في كل من قرطبة، واشبيلية، وطليطلة وقيل أن غرناطة لوحدها بلغ فيها عدد المدارس حوالي سبع عشرة مدرسة كبرى ومائتان وعشر مدارس صغرى.[٧٩]

لكن رغم هذا التضارب الواضح في الآراء حول تاريخ تأسيس أول مدرسة بالغرب الإسلامي، إلا أنه يمكننا وضع تاريخ ومكان افتراضيين لظهورها، وذلك بالرجوع إلى مختلف النصوص التاريخية التي طرقت الموضوع.

لقد أوردت بعض كتب الرحلة أن أول مدرسة أقيمت بالغرب الإسلامي، هي المدرسة المنتصرية التي بنيت بطرابلس الحفصية بين سنتي (٦٥٥- ٦٥٨هـ/١٢٥٧-١٢٦٠م) في موقع محاذي ومتاخم للديار المصرية وبعيد جغرافيا عن عاصمة الموحدين مراكش[٨٠] "وبداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المنتصرية التي كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا رحمه الله تعالى وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين إلى سنة ثمان وخمسين، وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعا وأظرفها صنعا"،[٨١] وفي نفس الفترة أسست أول مدرسة بمراكش سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ويظهر أن إقامتها تزامنت مع مدرسة طرابلس الغرب، خلال هذه الفترة نشطت حركة السنّة وتجدد انبعاثها في المغرب الإسلامي وكثر ضغطهم على الموحدين خاصة، وأخذ المذهب المالكي يسترجع مكانته ودوره الريادي في بلاد المغرب هذا الوضع سمح وساعد على نزوح فقهاء المذهب المالكي من الأندلس بعد سقوط المدن الأندلسية واستقروا ببلاد المغرب حيث احتضنهم المرينيون والزيانيون والحفصيون.[٨٢]

من خلال النص السابق يتضح؛ أن طرابلس الحفصية كانت القاعدة الأولى لانطلاق بناء بقية مدارس الغرب الإسلامي، وبذلك يجعلنا نتجاوز النصوص السالفة الذكر. وقد فسّرت بعض الدراسات الحديثة هذا التباين في الآراء بإرجاعه إلى النصوص المصدرية المتعلقة بظهور المدارس والتي جاءت متأخرة إذ تعود إلى الفترة المرينية، وحسب هذه الدراسات فإن استعمال مصطلح (مدرسة) في المصادر اكتنفه بعض الغموض وبالتالي قد وقع انزلاق في استخدامه دون التدقيق في معناه ودلالته وأبعاده، كما أرجعته إلى اندثار المباني التعليمية السابقة للفترة المرينية وغياب التنقيبات الأثرية التي تجعل الباحث يفتقر إلى معطيات دقيقة، من شأنها أن تكشف عن شكل تلك المباني وتخطيطها ووظائفها.[٨٣] وبالتالي فمع غياب الشواهد الأثرية والغموض الذي يكتنف المصطلحات المتداولة في مختلف المصادر، يمكن القول أن الغرب الإسلامي قد عرف هياكل تعليمية قبل تأسيس دولة المرينيين، لكن هذه الهياكل لم ترق من حيث الشكل والتنظيم والتمويل والتصميم المعماري والوظيفة إلى مفهوم المدرسة التعليمية بالمفهوم الذي حددناه سابقًا . من خلال ما سبق يتضح لنا؛ أن ظهور المدارس في الغرب الإسلامي قد عرف تضاربًا وجدلاً حول أول المدارس التي أسست بالمنطقة، فهناك مَنْ يجعل مهدها في الأندلس وهناك مَنْ يجعله بطرابلس والبعض الآخر يجعلها في فاس.[٨٤]

لقد اهتم السلاطين الحفصيون والمرينيون والزيانيون بإقامة المدارس التعليمية، حيث دشّن مؤسس الدولة الحفصية أبو زكرياء مشاريعه الفكرية بتأسيس المدارس وجمع الكتب "اشتغل أولاد الأمير أبو إسحاق بالملك والدنيا واشتغل منهم الأمير أبو زكرياء ببناء المدارس واقتناء الكتب وجمعها وضم أنواع العلوم لها حتى الوعظ...وقلت هذه المدرسة التي بنا الأمير أبو زكرياء هي المدرسة التي تأنق في بنائها وأقام بها مسجدا وجلب لها الرخام الحسن الشكل البديع ورتب لها المساكن للطلبة وأوقف عليها حبسا وكان ينظر في أكمل ما يقوم بمدرسها وطلبتها وقومتها..."،[٨٥] ورغم أننا لا نعرف تاريخ تأسيسها، إلا أنه يمكننا القول بأنها تأسست قبل سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) وهي سنة وفاة الأمير الحفصي أبي زكرياء، وتابع خلفه مشروع بناء المدارس التعليمية من بعده، حيث عرفت تونس العديد من المدارس منها: مدرسة قرب القنطرة، والمدرسة التوفيقية، ومدرسة ابن تافراجين الواقعة قرب قنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة بتونس.[٨٦]

وأغلب الظن أن جُل مدارس المغرب الأدنى أسست من أجل تثبيت المذهب المالكي باعتبار مدرسة الفقه المالكي في كامل

المغرب الإسلامي تونسية المبدأ، إذ كان الحسن بن علي التونسي[٨٧] أول من أدخل الفقه المالكي إلى المنطقة، وأيضا الدور الذي لعبه علماء المذهب من المغرب الأدنى الذين زاروا المشرق وأخذوا عن صاحب المذهب – مالك بن آنس- وأبرز فقهاء وعلماء المذهب، كالبهلول ابن راشد القيرواني (١٨٣هـ/٧٩٩م)[٨٨] وسحنون بن سعيد (٢١٠هـ/٨٢٥م)[٨٩] الذي يعد بمثابة المؤسس الأول لمدرسة الفقه المالكي بإفريقية.[٩٠]

أما بالمغرب الأقصى، كانت المدرسة كسلسلة متصلة الحلقات، افتتح عهدها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني[٩١] بتشييده مدرسة الحلفائيين التي كانت كأول مدرسة تبنى بفاس على العهد المريني (٦٦٧-٦٨٤هـ/١٢٦٨-١٢٨٥م) وذلك حوالي سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) كانت مجهزة بخزانة كتب كبيرة، وسميت كذلك بمدرسة الصفارين[٩٢] أو المدرسة اليعقوبية نسبة إلى مؤسسها السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق،[٩٣] كما بنى السلطان أبو الحسن مدرسة طالعة سلا[٩٤] ومدرسة مراكش العظمى وتذكر لنا المصادر إنجازاته في هذا المجال "ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله...وبنى رحمه الله عدة مدارس منها المدرسة العظمى بمراكش...ومنها المدرسة العظمى بطالعة سلا قبل المسجد الأعظم منها بناها رحمه الله على هيئة بديعة"،[٩٥] وواصل بناء المدارس في جل حواضر المغرب الأقصى والمغرب الأوسط "ثم أنشأ رضي الله عنه في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة... وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان...وكلها قد اشتمل على المباني العجيبة والصنائع الغريبة"[٩٦] وواصل خلفه من بعده مسيرته هذه حيث أنشئت العديد من المدارس منها مدرسة فاس الجديدة أو المدرسة البيضاء التي بناها أبو سعيد المريني سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، ومدرسة العطارين التي بنيت على عهد أبي سعيد عثمان وتم ذلك على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار بفاس "...ثم أنشأ مولانا السلطان أبو سعيد والد إمامنا رضي الله عنه مدرسة العطارين...ثم أنشأ نفعه الله تعالى المدرسة المختلفة بالعدوة عدوة الأندلس من فاس وهي مدرسة الصهريج ثم أنشأ المدرسة الكبرى، مدرسة الوادي...ثم المدرسة الكائنة جوفي جامع القرويين وتعرف بمدرسة مصباح..."."[٩٧]

والظاهر أن المدارس كانت كثيرة بفاس حيث قدرت بعض النصوص عددها حوالي إحدى عشرة مدرسة " في فاس إحدى عشرة مدرسة للطلاب..." ،[٩٨] وبالجملة كانت هذه المدارس قمة في الجمال حيث جلب لها الرخام من الجزر الأوربية كما جلب لها أحسن الفنانين والرسامين والزواقين "...جيدة البناء كثيرة الزخرف بالزليج والخشب المنقوش بعضها مبلط بالرخام وبعضها بالخزف المايورقي وتحتوي كل مدرسة على عدة حجر...وكلها من تأسيس ملوك بني مرين"،[٩٩] والمدرسة البوعنانية التي أقامها أبو عنان ابن أبي الحسن (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) وصفت لنا بعض النصوص جمالها وروعتها "وتمتاز إحدى هذه المدارس-البوعنانية- بروعة فائقة سعة وجمالا وهي من بناء السلطان أبو عنان المريني يرى فيها بركة فاخرة من رخام"،[١٠٠] ثم المدرسة المصباحية التي أنشئت سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)[١٠١] بفاس أطلق عليها اسم المصباحية نسبة إلى أول أستاذ بها وهو أبو الضياء مصباح بن عبد الله.[١٠٢]

ثم تواصلت عملية بناء المدارس بالمغرب الأقصى على عهد دولة بني مرين في باقي المدن بعدما كان جلها بفاس، حيث أسّست مدارس في مراكش وسلا ومكناس[١٠٣]، وكان جل أساتذة هذه المدارس مالكيي المذهب، تصفها لنا النصوص وتعطينا صورة واضحة عنها، خصوصا ما تعلق بمحتوياتها وتسييرها "هذه المدينة قصبة كبيرة كأنها مدينة...وفي القصبة مدرسة في غاية الحسن، أو على الأصح مؤسسة معدة للدراسة وسكنى للطلبة، تحتوي على ثلاثين حجرة وقاعة في الطبقة الأرضية كانت تعطى فيها الدروس فيما سبق وكان كل طالب مقبول في هذه المدرسة ينفق عليه ويكسى مرة في السنة ويتقاضى الأساتذة مرتبا قدره مائة أو مائتا مثقال..."[١٠٤] أما فيما يخص فن الزخرفة فقد استعملت فيها فسيفساء جميلة تغطي الجدران "وهذه البناية مزخرفة بالفسيفساء البديعة...وفناء المدرسة المكشوف كله بالزليج اللّماع..."."[١٠٥] كانت تلقى الدروس في هذه المدارس صباحًا ومساءً حيث يتقاضى المدرسون مرتباتهم، وكان الطلبة معفيين من دفع مصاريف الدراسة لمدة سبع سنوات.[١٠٦]

أما عن ظهور المدارس في المغرب الأوسط فكان متأخرًا عن ظهورها بالمشرق الإسلامي بنحو قرنين من الزمن، وبنحو قرن من الزمن عن المغربين الأقصى والأدنى، فأول مدرسة عرفت بالمغرب الأوسط كانت مع بداية القرن الثامن الهجري (١٤ م)، والملاحظ أن جل المدارس وأشهرها أقيم بالعاصمة تلمسان، بلغ عددها خمس مدارس منها ما أسّس من قبل السلاطين الزيانيين ومنها ما أسّس من قبل السلاطين المرينيين أيام الاحتلال "وتوجد بتلمسان مساجد عديدة...وخمس مدارس جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء...شيّد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس"[١٠٧] وكانت مدرسة ولدي الإمام أول مدرسة تؤسس بالمغرب الأوسط أقامها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م) وعين الأخوين أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى للتدريس فيها " والشيخان الفقيهان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى...نزلا تلمسان في أيام السلطان المرحوم أبو حمو موسى ابن السلطان المرحوم أبو سعيد ابن أمير المسلمين ابن يحيى يغمراسن بن زيان فأكرم مثواهما وابتنى لهما مدرسة مسماة بهما داخل باب كشوط"[١٠٨]، ثم المدرسة التاشفينية كثاني مدرسة تؤسس بالمغرب الأوسط أقامها السلطان الزياني أبو تاشفين عبد الرحمن الأول[١٠٩] خلال فترة حكمه الممتدة بين (٧١٧-٧٣٧هـ/ ١٣١٨-١٣٣٧م)،[١١٠] ومدرسة العباد هي ثالث مدرسة، بعد مدرسة ولدي الإمام والتاشفينية أقامها السلطان أبو الحسن المريني أثناء احتلاله للمغرب الأوسط " ثم أنشأ رضي الله عنه – أبو الحسن- في كل بلد من المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة، فأنشأ بمدينة تازى قديما مدرستها الحسنة...وبالعباد ظاهر تلمسان..."[١١١]

شيدت المدرسة عام (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)، ومدرسة سيدي الحلوي كرابع مدرسة تؤسس بالمغرب الأوسط أنشأها السلطان المريني أبو عنان ابن أبي الحسن بجانب مسجد وضريح الولي الصالح أبي عبد الله الحلوي[١١٢] سنة (٧٥٤هـ/١٣٤٣م)،[١١٣] ثم المدرسة اليعقوبية كخامس مدرسة، بعد كل من مدرسة ولدي الإمام والتاشفينية ومدرسة العباد وسيدي الحلوي، أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي تولى الحكم خلال الفترة الممتدة بين (٧٦٠-٧٩١هـ/ ١٣٥٨-١٣٨٨م) أقامها سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٣م)[١١٤] وسميت باليعقوبية نسبة إلى أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو موسى الثاني لقربها من ضريحه[١١٥]، ومدرسة منشر الجلد التي أسست خلال القرن التاسع الهجري (ق١٥م) ذكرها صاحب البستان خلال ترجمته لسيدي محمد بن عمر الهواري "... فجئت إلى مدرسة منشار الجلد".[١١٦]

إنّ أهم ما يلاحظ على مدارس المغرب الإسلامي أنها انتشرت خصوصًا في الحواضر الكبرى فاس، وتونس، وتلمسان، وهي من إنشاء السلاطين والأمراء بالدرجة الأولى.[١١٧] إذن المدارس التعليمية من بين أهم المؤسسات التعليمية التي عرفها العالم الإسلامي مع بداية القرن الخامس الهجري (١١م)، بعدما كانت الدراسة مرتبطة قبل ظهورها بالمساجد والكتاتيب، لها عدة مفاهيم لغوية واصطلاحية ومعمارية، وحتى فكرية، أنشئت لغايات كثيرة منها الدينية والعلمية والسياسية، ظهرت أول مرة في نيسابور ثم الشام فمصر فالغرب الإسلامي، وجدت في البداية من أجل المذهب الشافعي لمواجهة المد الشيعي ثم عمّم تأسيسها على كل المذاهب السنية.

خَاتِمَةٌ

من خلال هذا الدراسة، يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

- عرف العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى مؤسسات تعليمية عديدة، تمثلت عمومًا في الكتاتيب والمساجد ودور العلم، قبل أن تعرف المدارس التعليمية.
- تضاربت الآراء واختلفت حول ظهور المدارس التعليمية بالعالم الإسلامي سواء بالمشرق العربي أو المغرب العربي.
- كان لظهور هذا النوع من المؤسسات صلة وثيقة بانتشار الدين الإسلامي.
- تأثر منطقة المغرب بالأفكار المشرقية منها المدارس.
- عرف الغرب الإسلامي هذا النوع من المؤسسات بنحو قرنين من زمن ظهورها بالمشرق، أما ظهورها بالمغرب الأوسط فكان متأخرًا عن المشرق الإسلامي بنحو قرنين من الزمن، وبنحو قرن من الزمن عن المغربين الأقصى والأدنى.
- إنّ ما يميز مدارس الغرب الإسلامي عن مدارس المشرق الإسلامي أنّ الأولى وجدت عامة من أجل المذهب الماكي، أما الثانية فوجدت من أجل المذهب الشافعي.
- اتخذت المدارس تسميات مختلفة بين أسماء سلاطين كالمدرسة التاشفينية في المغرب الأوسط، وأسماء علماء كمدرسة ولدي الإمام، وأسماء رجال التصوف كمدرسة أبي مدين شعيب، وأسماء المناطق المدن كمدرسة فاس ومازونة.
- كان لنظام الوقف دورًا بارزًا في إنشاء واستمرار المدارس.
- تنوعت العلوم المدرسة بمدارس المغرب الإسلامي ما بين العلوم النقلية والعقلية.
- سادت طريقة الإلقاء والشرح في التدريس، حيث كان المدّرس يحدد كتابًا من الكتب المشهورة في أحد أصناف العلوم ويعيّن أحد الطلبة النجباء للقراءة وفي نفس الوقت يشرح وعلى الطلبة الآخرين المتابعة والإصغاء وتدوين الأمور المهمة.
- ساهمت المدارس بالمنطقة في انتشار العلوم وازدهار الحياة العلمية.

الهَوامِشُ:

(١) مشتق من كتب والمكتب بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء أو المكتب بضم الميم وفتح الكاف وكسر التاء مع التشديد هو الذي يعلم التلميذ الكتابة، حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج٤، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩١، ص ٤٠٢.

(٢) حسين أمين، **"المعاهد والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي"**، مجلة الثقافة العربية، العدد العاشر، أكتوبر ١٩٨٠، ص٤٧.

(٣) عمرو بن العاص ابن وائل الإمام أبو عبد الله، ويقال أبو محمد داهية قريش ضرب به المثل في الفطنة والدهاء، أسلم في السنة الثامنة للهجرة له أحاديث عديدة، (ت. ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **سير أعلام النبلاء، ج٠٣**، أشرف على تحقيقه وإخراج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، حقق الجزء الثالث، محمد نعيم العرقوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.

(٤) كانت تسمى قبل الطوفان جزلة ثم سميت مصر، اختلف في معنى تسميتها بمصر فقيل إنها سميت بذلك نسبة ابن مركابيل بن دوابيل بن عرياب وهو مصر الأول وقيل سميت نسبة لمصر الثاني وهو مصرام بن يعراوش الجبار بن مصريم الأول، وقيل نسبة إلى مصر الثالث وهو مصر بن بنصر بن حام بن نوح، ومصر اسم أعجمي لا ينصرف، وقال آخرون هي إسم عربي وهي مدينة منيعة على النيل، ومصر في كلام العرب تعني الحد بين الأرضين ، فيقال : اشتريت الدار بمصورها أي بحدودها، وقيل سميت مصر بمصر لمصير الناس إليها واجتماعهم بها، فجمع المصر من البلدان أمصار، ينظر، المقريزي تقي الدين أبو العباس أحمد (ت. ٨٤٥هـ)، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج٠١**، مؤسسة الحبلى وشركاه للنشر والتوزيع، دون تاريخ، ص ١٩ – ٢١- ٢٢.

(٥) أحمد **أمين، ضحى الإسلام، ج٠٢**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، ١٣٤٣هـ، ص٥٢.

(٦) حسين أمين، المرجع السابق، ص٤٧.

(٧) أحمد عبد **الرزاق** أحمد، **الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية**، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص١٨.

(٨) كمال أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة** شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص١١٣.

(٩) بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص ٢٥٤.

(١٠) بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وفي آخرها ذال معجمة، سميت بغداد بهذا الاسم لأن كسرى أهدي إليه خصي من المشرق فأقطعه بغداذ وكان له صنم يعبده بالمشرق يقال له البغ، فقال ذلك الخصي بغ داذ يعني أعطاني الصنم، وكان عبد الله بن المبارك يكره أن يقال لها بغداد، بالذال المعجمة، فإن بغ شيطان وداذ عطية الشيطان وهو شرك قال، إنما يقال بغداد بالدالين المهملتين، ومباني بغداد كلها بالقصب والطوب والكلس والجبس، أرخص ما فيها التمر والأرز وقصب السكر تصعد لها المراكب ببضائع الهند، ينظر، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص١٥٨.

(١١) حسين أمين، المرجع السابق، ص٤٨.

(١٢) المقريزي، المصدر السابق، ص٣٦٣.

(١٣) محمد سعد أطلس، **التربية والتعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٥٧، ص١٢٢.

(١٤) مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة كثيرة الأشجار والأنهار، ينظر، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(٦٠٨هـ/ ٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأعيان أبناء الزمان، ج٠١**، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه محمد محي الدين بن عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٨، ص٤٥٤.

(١٥) محمد سعد أطلس، المرجع السابق، ص١٢٢ - ١٢٣.

(١٦) أحمد فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها العصر الأيوبي، ج٠٢**، دار المعارف مصر، ١٩٦٩، ص١٥١.

(١٧) كلوس كريزر وآخرون، **معجم العالم الإسلامي**، ترجمة الدكتورة ج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨، ص٥٩٨.

(١٨) ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي وأعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، المجلد٢٠، دار الجيل بيروت، دار لسان العرب بيروت، ١٩٩٨، ص ٩٦٨.

(١٩) الأزدي ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن البصري (ت. ٣٢١هـ)، **كتاب جمهرة اللّغة، ج٠٢**، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ، ص٢٤٥.

(٢٠) محمد فريد وجدي، **دائرة المعارف القرن العشرين، مجلد** ٠٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧١، ص٢٨.

(٢١) ابن منظور، المصدر السابق، ص٩٦٨.

(٢٢) محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ص٢٨.

(٢٣) ابن منظور، المصدر السابق، ص٩٦٨.

(٢٤) نفسه، نفس الصفحة.

(٢٥) نفسه، نفس الصفحة.

(٢٦) **سورة الأنعام**، الآية رقم (١٠٥).

(٢٧) **سورة الأعراف**، الآية رقم (١٦٩).

(٢٨) أحمد فكري، المرجع السابق، ج٠٢، ص١٤٤.

(٢٩) محمد بن أحمد أبي رأس الناصري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج٠١**، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات crasc، ٢٠٠٥، ص ١٨٨، سعيد بوفلاقة، **"مدينة الجزائر رواسي للفن والتاريخ"**، مجلة الثقافة، عدد١١، ٢٠٠٧، ص٩٣-٩٤.

(٣٠) أوردت كتب الجغرافيا وكتب التاريخ العام عدة تعاريف لها سنذكر بعضها، اسم تلمسان بربري وهو تحريف صيغة جمع وهو تلمسان أو تلمسن بكسر التاء وسكون اللام وكسر الميم ومفردة ومعناها جيب ماء أو ينبوع فيكون معنى اسم تلمسان مدينة الينابيع وهذا المعنى يتلائم مع إقليم تلمسان لكثرة مائها، هذه المدينة قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن زعم بعض سكانها أنها أزلية البناء وأن الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليه السلام بناحية أقادير منها، اسمها في لغة زناتة مركب من " تلم و سين" ومعناها تجمع بين اثنين يعنون بين البر والبحر، أو الصحراء والتل ويقال "تلشان" وهو مركب من "تل" ومعناه لها و"شان" أي لها شأن، لها خمسة أبواب "قبلة باب الجياد وشرقًا باب العقبة، وشمالاً باب الحلوي وباب القرميدين، وغربًا باب كشوط، يُنظر، ابن مريم المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٩، لسان الدين ابن الخطيب

السلماني (٧١٣هـ-٧٧٦هـ)، **كتاب معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المغرب، المحمدية، دون تاريخ، ص ١٨٣-١٨٤، العبدري محمد، **الرحلة المغربية**، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٢٧-٢٨.

(٣١) مدينة عليها سور تقع على البحر إسمها يعني الجزر لأنها مجاورة لجزر ميورقة ومنورقة ويابسة ، ويرى البعض أن تسميتها ترجع إلى جزر صخرية كانت أمامها حيث كانت تقيم قبيلة بربرية تدعى بني مزغنة فسمي المكان جزائر بني مزغنة ثم تنوسي اسم القبيلة وبقيت الجزائر، ينظر، الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**،ج٠٢، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص٣٧.

(٣٢) نسبة إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان فاتح وهران، ينظر أبو رأس الناصري، المصدر السابق، ص١٨٨.

(٣٣) محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ص٢٨.

(٣٤) إسماعيل سامعي، **معالم الحضارة العربية الإسلامية مدخل نظم علوم زراعية صناعة اجتماعيات وفنون وتأثيرات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٣١٢.

(٣٥) صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٣٩.

(٣٦) أحمد فكري، المرجع السابق، ص١٢١.

(٣٧) أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص٥٣٥.

(٣٨) علي عبد الله الدفاع، **لمحات من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨١، ص٨٠.

(٣٩) علي عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص٧٩.

(٤٠) الحجاز عبارة عن، مكة والمدينة واليمامة، وهو قطعة من جزيرة العرب، وهو ما بين بحر القلزم وبحر الهند وبحر فارس والفرات وبعض بادية الشام ، وسمي الحجاز لأنه حجز بين نجد وتهامة ولامتداده بينهما، يُنظر، القلقشندي أحمد بن علي (ت. ٦٨١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المجلد الرابع، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص٢٥٠- ٢٥٢.

(٤١) اختلف في تحديده فقيل أن حده من القبلة إلى البر المقفر، تيه بني إسرائيل وبر الحجاز والسماوة إلى مرمى الفرات بالعراق، حده من الشرق السماوة والفرات وحده من الشمال البحر الرومي وحده من الغرب حد مصر، سميت الشام شاما وذلك: "أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام بالشام فسميت الشام حين تشاؤموا إليها من أرض بابل، ينظر، القلقشندي، المصدر السابق، ص٧٧-٧٨.

(٤٢) أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص٥٣٦.

(٤٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن سادرة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، شهد العقبة وهو شابًا روى الحديث عنه الكثيرون منهم ابن العباس وجابر وابن عمر وغيرهم، توفي معاذ بقصير خالد من الأردن سنة (١٧هـ أو ١٨هـ) وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، يُنظر، الذهبي، المصدر السابق،ج٠١، أشرف على تحقيقه وإخراج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، حقق الجزء، حسين الأسد، ص٤٤٣-٤٤٥.

(٤٤) أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص٥٣٦.

(٤٥) هو عبد الله بن الأرقم ابن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، من مسلمة الفتح فحسن إسلامه، يُنظر الذهبي المصدر السابق، ج ٠٢، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط، ص٤٨٢.

(٤٦) أحمد فكري، المرجع السابق، ص١٤٣.

(٤٧) تعتبر مدينة نيسابور قاعدة لخرسان، ومن مدن خرسان المشهورة نذكر مدينة نسا، مدينة مرو قاعدتها أيام السلاجقة وفي صدر الإسلام، ثم مدينة بلخ قاعدتها أيام الأكاسرة، يُنظر ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٤٨) جورجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي، ج٠٣**، طبعة جديدة علق عليها وراجعها الدكتور حسين مؤنس، دار الهلال، ١٩٧٣، ص٢٠٠.

(٤٩) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعد الهاء المفتوحة قاف وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا منها، وقريتي خسرو وجرد من قراها، ينظر ابن خلكان، المصدر السابق، ص٥٨.

(٥٠) أحمد فكري، المرجع السابق، ص٩٩.

(٥١) أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص٢٧.

(٥٢) أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص٥٤٠.

(٥٣) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٥٦٨.

(٥٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايني الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي جلس للإقراء بالعراق وخرسان توفي بنيسابور سنة (٤١٨ هـ/ ١٠٢٧م) ثم نقل إلى إسفراين ودفن بها، ينظر، ابن خلكان، المصدر السابق، ص٠٨-٠٩.

(٥٥) ابن خلكان، المصدر السابق، ص٠٨-٠٩.

(٥٦) أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي بن العباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي، اشتغل بالحديث والفقه كان وزيرًا لألب أرسلان الذي دبر أمره فأحسن التدبير ولما مات ألب هذا وطّد المملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان، يُنظر، ابن خلكان، المصدر السابق، ص٣٩٥.

(٥٧) نفسه، ص٣٩٦.

(٥٨) أحمد أمين، ضحى الإسلام، المرجع السابق، ص٤٩.

(٥٩) أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص٢٨.

(٦٠) المقريزي، المصدر السابق، ص٣٦٣.

(٦١) المقريزي، المصدر السابق، ص٣٦٣.

(٦٢) نفسه، نفس الصفحة السابقة.

(٦٣) عرفت بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين النجار أحد أعيان الشافعية ثم عرفت بالمدرسة الشريفية كما عرفت بدار ثم صارت سجنا تعرف بالمعونة فهدمها السلطان صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب سنة (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) وأنشأها مدرسة برسم الفقهاء الشافعية وكان حينئذ متولي الوزارة للخليفة وكانت أول مدرسة عملت بديار مصر، ينظر، المقريزي، المصدر السابق، ج٠٢، ص٣٦٣.

(٦٤) تقع بجوار الجامع العتيق كان يعرف موضعها بدار الغزل وهو قياسرية يباع فيها الغزل حتى هدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع سنة (٥٦٦هـ/

١١٧٠م) وهي مدرسة للفقهاء المالكية يتحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم فصارت تعرف بالمدرسة القمحية، ينظر المقريزي، نفسه، ص٦٤.

(٦٥) المقريزي، المصدر السابق، ص٣٦٤.

(٦٦) ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، تقديم سليم بابا عمر، موفم للنشر، ١٩٨٨، ص٢٥٥.

(٦٧) ابن جبير، المصدر السابق، ص٢٥٧.

(٦٨) إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص٣١٤.

(٦٩) صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص١٣٧.

(٧٠) هو بليدات صغيرة منها مدينة صغيرة تدعى تارودانت وهي حاضرة السوس وإليها يجتمع أهله وأخرى تدعى زجندر، يُنظر، المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٧١) هو أمير المؤمنين عبد الله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي لقب بالمنصور، ولد بمراكش سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) كني بأبي يوسف، بويع سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) توفي سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م)، يُنظر، ابن أبي زرع الفاسي علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، المطبعة الملكية الرباط، ص٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥.

(٧٢) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٧٣) ابن مرزوق محمد التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ص٤٠٦.

(٧٤) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص٣٢٥.

(٧٥) الأندلس بفتح الألف وفتح الدال المهملة وسكون النون بينهما وضم اللام ثم سين مهملة، تقابل المغرب وبينهما بحر الزقاق، هي على شكل مثلث، يُنظر، أبي الفدى عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت. ٧٣٢هـ)، **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه وطبعه وينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص١٣٥.

(٧٦) أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص٢٢.

(٧٧) أشهر بلاد الأندلس وقيل اسمها الصحيح إغرناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمانة، حصينة مملكتها في الجنوب وشرق مملكة قرطبة، تشبه دمشق وتفضل عليها، ينظر، أبي الفدى، مصدر سابق، ص٧٧، المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت. ١٠٤١هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، حققه وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محي الدين بن عبد الحميد،ج١، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٤٩، ص١٤١.

(٧٨) ألفرد بال، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧، ص٣٥١.

(٧٩) أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص٢٢.

(٨٠) حاضرة المغرب الأقصى بناها يوسف ابن تاشفين في أرض صحراوية حيث جلب لها الماء، يُنظر، ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص١٢٥.

(٨١) التجاني أبو محمد بن أحمد، **رحلة التجاني**، قدم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٨٢) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص٣٢٥.

(٨٣) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص١٣٨.

(٨٤) مدينة فاس حاضرة المغرب اجتمع فيها علم القيروان وقرطبة، توافد إليها العلماء من قرطبة حاضرة الأندلس باضطراب أحوال بني أمية بعد موت أبي عامر، ومن القيروان بعدما عاث فيها العرب، وهي متوسطة بين مدن المغرب الأقصى منها إلى كل مدينة من مراكش وسبتة وسجلماسة تلمسان، يُنظر المراكشي عبد الواحد بن علي (ت. ٦٤٧هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، ص٢٥٧، أبي الفدى، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٨٥) ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب (ت. ٨١٠هـ/١٤٠٧م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، ص١٥٥-١٥٦.

(٨٦) كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص١١٩.

(٨٧) فقيه سمع من مالك وسفيان الثوري وغيرهما يعد من الطبقة الأولى لأصحاب مالك، سمع منه البهلول بن راشد القيرواني وأسد بن فرات وسحنون، روى الموطأ عن مالك توفي سنة ١٨٣هـ، يُنظر، ابن فرحون المالكي نور الدين (ت. ٧٩٩هـ)، **الديباج المذهب لمعرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص٢٩٢.

(٨٨) أبو عمرو من أهل القيروان سمع من مالك والثوري والليث بن سعد، ويعد من أصحاب الطبقة الأولى قيل عنه أنه وتد من أوتاد المغرب، ولد سنة١٢٨هـ وتوفي سنة ١٨٣هـ وقيل سنة ١٨١هـ، ينظر، ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص١٦٦.

(٨٩) هو عبد السلام أبو سعيد سحنون بن حبيب التنوخي، أصله شامي من حمص، اسمه عبد السلام ولقب بسحنون، سمي سحنون باسم طائر حديد لحدته في المسائل، أخذ العلم بالقيروان من مشايخها كبهلول بن راشد وعلي بن زياد، توفي سنة ١٦٠هـ وقيل سنة ١٦١ هـ، نفسه، ص٢٦٣-٢٦٧.

(٩٠) أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف وآخرون، **الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس، ١٩٨٧، ص٥٣.

(٩١) هو أمير المسلمين يعقوب بن الأمير عبد الحق بن أبي بكر بن حمامة بن محمد الزناتي ثم المريني، مولده سنة ٦٠٧هـ وقيل ٦٠٩هـ يكنى بأبا يوسف ولقب المنصور بالله، ينظر ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٣٨٨.

(٩٢) أحسن زقور، **أبحاث في المخطوطات تحقيق مخطوطات العلوم الإسلامية، أبوا العباس أحمد الونشريسي ومخطوطه المنهج الفائق في علم الوثائق**، منشورات دار الأديب، وهران، ٢٠٠٧، ص٦٩-٧٠.

(٩٣) عبيد بوداود، **انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق ١٣-١٥م) ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، السنة الجامعية، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص٢٢١.

(٩٤) سلا رباط يرابط به المسلمون عليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة وقد خربت، يُنظر ابن حوقل، المصدر السابق، ص٨٢.

(٩٥) الناصري السلاوي أبو العباس أحمد، **كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى الدولة المرينية**، ج٠٣، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف صاحبي السعادة جعفر الناصري و أمحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ص١٧٤-١٧٥.

(٩٦) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص٤٠٦.

(٩٧) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص٤٠٦.

(٩٨) ليون الإفريقي، المصدر السابق، ج٠١، ص٢٥٢.

(٩٩) ليون الإفريقي، المصدر السابق، ج٠١، ص٢٥٢.

(١٠٠) نفسه، نفس الصفحة.

(١٠١) ألفرد بال، المرجع السابق، ص٣٥٣.

(١٠٢) أحسن زقور، المرجع السابق، ص٦٩-٧٠.

(١٠٣) مكناس مدينة اشتهرت بالزيتون، بينها وبين فاس أربعون ميلاً، ينزل من جبال غمارة التي في شرقها نهر فلفل، يُنظر ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص١٤١.

(١٠٤) ليون الإفريقي، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣١-١٣٢.

(١٠٥) ليون الافريقي، المصدر السابق، ص١٣٢.

(١٠٦) ليون الافريقي، المصدر السابق ص٢٢٧.

(١٠٧) نفسه،ج٠٢، ص١٩.

(١٠٨) ابن خلدون يحيى أبي زكرياء، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج٠١**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠، ص١٣٠.

(١٠٩) خامس السلاطين أسرة بني عبد الواد ملوك تلمسان اسمه الحقيقي عبد الرحمن بن موسى غطت كنيته على اسمه ولد سنة (٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، بويع سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، بالملعب خارج باب كشوطة، نشأ نشأة فاسدة بين العلوج فاقتبس منهم كل الرذائل، تآمر وإياهم على قتل أبيه فاغتالوه، تولى الحكم مكانه (٧١٨هـ/١٣١٨)، ونفى آل بيته إلى الأندلس خوفًا منهم على نفسه وجعل حكومته إلى علج من نصارى الأندلس وهو هلال القطلاني، يُنظر، ابن خلدون يحيى مصدر سابق، ص٢١٥، عبد الوهاب منصور، **أعلام المغرب العربي، ج٠١**، المطبعة الملكية الرباط، ١٩٧٩، ص٢٩٤-٢٩٥.

(١١٠) التنسي محمد بن عبد الله، **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان (تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)**، حققه محمود بوعياد، صدر عن وزارة الثقافة، ٢٠٠٧، ص١٤٠-١٤١.

(١١١) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص٤٠٦.

(١١٢) هو الشيخ أبوا عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان من كبار العباد قيل أنه كان يبيع الحلوى ويتصدق بثمنها لذا سمي بالحلوي، ينظر، ابن خلدون يحيى، المصدر السابق، ص١٢٧-١٢٨.

(١١٣) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص٣٢٢.

(١١٤) رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص٤٣٨.

(١١٥) الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص٣٩٩.

(١١٦) ابن مريم، المصدر السابق، ص٢٣٠.

(١١٧) كمال مصطفى، المرجع السابق، ص١١٧.